

الجدوى الاقتصادية الوطنية لإنتاج القطن في سورية

في أيار 1998 شاهدت فيلماً وثائقياً عن التصحر الذي أصاب مناطق شاسعة في آسيا الوسطى. وقد عزى التقرير ذلك إلى الزراعة الجائرة والمتكررة للقطن في تلك المناطق، الامر الذي جعلني أستعيد ما كنت قد سمعته عن التصحر الذي حل بأراضي منطقة السلمية التي كانت مشهورة ببساتينها وغلالها المتميزة في الخمسينات، وأدى الى اخراج معظم اراضيها من الاستثمار الزراعي.

ومن خلال متابعتي لوضع الزراعة في سورية بدأت أشعر بالقلق نتيجة قناعة أخذت تتعزز عندي باننا نستنزف مياهانا الجوفية بشكل جائر، ونتسبب بتمليح مساحات شاسعة من أراضينا مقابل أرباح محدودة لا تتناسب أبداً مع تلك الخسائر.

أرجو أن لا تؤخذ هذه الدراسة الأولية على أنها مسلمات، بل يجب اعتبارها تساؤلات هامة تتطلب الاجابة عليها البحث والتدقيق من قبل مجموعة من العلماء المختصين، وذلك لإرشادنا إلى أفضل الطرق في استثمار مواردنا المائية المحدودة وأراضينا القابلة للزراعة. فأنا لست خبيراً في هذا المجال، ولست مؤهلاً لإعطاء الحلول النهائية.

تصدير القطن كمادة خام ربح ام خسارة وطنية ؟ !

- قراءة إحصائية: سأستعرض فيما يلي أهم مؤشرات محصولنا من القطن لعامي (1997 و 1998)

أولاً _ نتائج موسم عام 1997

بلغت مجموع المساحات المزروعة بالقطن في هذا الموسم 250000 هكتار ، وبلغت انتاجية الهكتار 4180 كغ من القطن المحبوب، وبلغ الانتاج الاجمالي (1) مليون طن من القطن المحبوب نتج عنه :
(326000 طن قطن محلوج + 630000 طن بذور قطن).

- تكلفة المحصول: بلغت كلفة زراعة الهكتار 89000 ل س وبذلك تكون الكلفة الاجمالية لمحصول عام 97 :

$$250.000 \text{ هكتار} \times 89000 = 22.250.000.000 \text{ ل.س}$$

$$\text{وباعتبار قيمة الدولار 50 ل.س تكون القيمة} = 445.000.000 \$$$

□ قيمة المحصول: بلغت القيمة الحقيقية للانتاج حسب أسعار التصدير العالمية :

_ قيمة القطن المحلوج : $326000 \times 1600 = 521.600.000$ \$

_ قيمة البذور : $630000 \times 170 = 107.100.000$ \$

_ مجموع قيمة المحصول : $521.6 + 107.1 = 628.700.000$ \$

_ الربح القائم : $628.7 - 445 = 183.700.000$ \$

ملاحظة: للحصول على الربح الصافي يجب أن نحسم كلف الحلج، والنقل، والتأمين، وفوائد التمويل، هذا عدا الخسارة التي يسببها ارتفاع نسبة الملوحة في التربة.

• بلغت كميات المياه المستهلكة (3.590) مليار م³ أي 11.01 م³ لكل كغ من القطن المحلوج.

ثانياً _ نتائج موسم عام 1998

بلغت المساحات المزروعة بالقطن في هذا الموسم 275000 هكتار، وبلغ مردود الهكتار 3706 كغ، وبلغ إجمالي

الإنتاج 1.017 مليون طن قطن محبوب نتج عنها :

(356000 طن محلوج + 630000 طن بذور).

• تكلفة محصول: بلغت كلفة الهكتار 89000 ل. س. لذا تكون الكلفة الإجمالية لمحصول 1998 :

$89000 \times 275000 = 24.475.000.000$ ل. س

وباحتساب قيمة الدولار 50 ل. س تصبح القيمة $489.500.000$ \$

□ قيمة المحصول: بلغت القيمة الحقيقية للانتاج حسب اسعار التصدير العالمية :

_ قيمة القطن المحلوج : $356000 \times 1400 = 498.400.000$ \$

_ قيمة البذور : $630000 \times 170 = 107.100.000$ \$

_ مجموع قيمة المحصول : $498.40 + 107.1 = 605.500.000$ \$

_ الربح القائم : $605.85 - 489.5 = 116.350.000$ \$

الربح الصافي = الربح القائم - الكلف المذكورة أعلاه في محصول 1997.

• بلغت كميات المياه المستهلكة 3.949.550.000 م³ أي أن كل كغ استهلك 11.09 م³.

ما رجناه بالأمس هل نخسره اليوم بسبب التملح ؟

ورد في جريدة الثورة في 99/06/09 ما يلي: "بدأت مشكلة تملح الأراضي في سورية منذ بداية الخمسينات مع إدخال زراعة القطن المروية و من ثم التوسع الكبير في ري و استصلاح الأراضي و تشير الدراسات المنفذة في مناطق مشاريع الفرات إلى أن أكثر من 200 ألف هكتار من الأراضي المروية قد أصابها التملح و أن ما يزيد عن 52 ألف هكتار قد خرجت من الاستثمار الزراعي بشكل كامل و ثمة مساحات مهمة قوامها 600 ألف هكتار من الأراضي المروية في سورية تتأثر بالملوحة و التغدق "

قد لا تكون زراعة القطن بحد ذاتها السبب المباشر في تملح الأراضي إلا ان استخدام طريقة الري التقليدي و عدم وجود أنظمة صرف نظامية للمياه المالحة يؤدي إلى سرعة تملح التربة و معلوم أن القطن يحتاج إلى عدد من الريات أكبر بكثير من تلك اللازمة للقمح الذي يستفيد من مياه الأمطار كمحصول شتوي كما أن عدم التقيد بالدورات الزراعية يسرع من عمليات التملح. ومن المفيد الإشارة إلى الملاحظات التالية:

ملاحظات :

- زادت مساحات الأراضي المروية من مياه الآبار في الفترة (1990-1996) من 343000 هكتار إلى 694000 هكتار أي أن مجموع المساحات التي تم ريهها بجفر الآبار الجديدة زادت خلال هذه الفترة 351000 هكتار، مما أدى إلى انخفاض منسوب المياه إلى عمق 250 متر في الكثير من المناطق.
- تدل الدراسات أن المورد الجوفي المتجدد القابل للاستثمار من المياه في سورية يقدر بـ (2.3 - 3) مليار متر مكعب في السنة تبعاً للهطولات المطرية. بينما بلغ الاستحراج الفعلي من المياه الجوفية عام 1996 حوالي 7.87 مليار متر مكعب أي أنه تم استنزاف 4.87 مليار متر مكعب كحد أدنى في عام واحد. مما تسبب بانخفاض شديد لتدفق الينابيع في الكثير من الأحواض المائية، كان أشدها ضرراً جفاف منابع الخابور في صيف عام 1997.
- حسب رأي غير موثق لأحد المختصين، فإن تكرار زراعة القطن باستعمال الري العائم مع غياب نظام صرف المياه المالحة يؤدي إلى خروج تلك لأراضي من الاستثمار بفترة تقل عن 20 سنة.
- قد يحتاج البعض على طريقة حساب القيمة الحقيقية لإنتاجنا من القطن والبذور وعدم الأخذ بعين الاعتبار الكميات المباعة للمؤسسة العامة النسيجية و شركات استخراج الزيوت. والرد على ذلك هو:
إن فرض اسعار تزيد 70 % عن الاسعار العالمية على المؤسسة النسيجية، وفي ظل الظروف الراهنة للصناعة الوطنية، لا يسمح لنا باعتبار البيع المحلي ربحاً اضافياً. بل هو في الحقيقة خطأ فادح تسبب بإلحاق خسائر كبيرة باقتصادنا مباشرة وغير مباشرة أدت الى تكديس المخازين، وعجز منتجاتنا عن المنافسة، وضيعت فرصة تطوير صناعتنا النسيجية، وأدت إلى خسارة أعداد كبيرة من فرص العمل التي يمكن أن توفرها هذه الصناعات، وفوت علينا تحقيق أرقام من صادرات الملابس المصنعة تبلغ أضعاف ما نجنيه من تصديرنا للقطن الخام. والأمر نفسه ينطبق على أسعار بذور القطن المباعة للسوق المحلي.

أضرار فادحة لحقت بالصناعات النسيجية ؟

إن فرض سعر على المؤسسة العامة النسيجية يزيد أكثر من 70% عن السعر العالمي تسبب باضرار مادية تزيد كثيراً عن ما نظن أننا حققناه من ربح اضافي كما يظهر في التحليل التالي :

• تكاليف القطن المملوج لمعملي غزل اللاذقية و حماة (ل.س / كغ)

قطن خام	90.00
حلج	3.53
ضريبة الانتاج الزراعي بنسبة 9.5 %	
جعالة تنشيط لصالح مؤسسة التجارة الخارجية	0.20
نقل و تأمين	1.51
فائدة حساب جاري لصالح مؤسسة حلج الاقطان بنسبة 7.5 %	7.95
المجموع	112.53

• تكاليف عملية الغزل :

بلغت الكلفة الاجمالية لكل كغ من الغزول (نمرة متوسطة 1/28 بواقع 3/1 مشط و 3/2 مسرح)

52.81 ل.س تتوزع بين خسارة العوادم وإجمالي الكلف الصناعية من أجور عمال و اهتلاك آلات ومصاريف صناعية أخرى.

متوسط الكلفة الإجمالية لكل كغ من الغزول في معمل اللاذقية 164 ل.س، ومعمل حماة 165 ل.س.

وعند التصدير تتقاضى المؤسسة النسيجية 46 ل.س عن كل دولار أي أن كلفتها تصل إلى 3.57 \$ / كغ. بينما

بلغ السعر العالمي في نفس الفترة للغزول 1/24 مسرح 2.45 \$ للنوع الممتاز.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار نوع ونمرة الخيط في إنتاج معملي غزل حماة واللاذقية فإن السعر المعادل يجب أن يكون

بالحد الأقصى 2.75 \$ / كغ . أي أن خسارة المؤسسة العامة النسيجية لكل 1 كغ تصدره هي 0.82 \$، مما يؤدي الى

عجز الغزول السورية عن المنافسة في الأسواق العالمية.

ونتيجة هبوط أسعار القطن العالمية بيع كيلو القطن الخام المصدر في الشهر الماضي بـ 1.2 \$ FOB (متضمناً

0.03 عمولة وكيل) .

مما تقدم نستطيع معرفة أسباب تكديس مخازين المؤسسة النسيجية بحيث تجاوزت 8 مليار ل.س في الفترة الاخيرة

، و التي يتوقع ان تزداد بشكل كبير ما لم تتخذ إجراءات سريعة لحل هذه المشكلة.

لقد علمت مؤخراً أن أغلب شركات القطاع العام النسيجية قد استهلكت كل رأسمائها ووقعت تحت عجز مديونية كبيرة

تحملها فوائد طائلة تبلغ 7.5 ل.س على كل 1 كغ من الغزول.

التكلفة الحقيقية وإمكانية المنافسة: أما إذا طبقنا المنطق التجاري السليم بالحفاظ على حق المؤسسة النسيجية بالحصول

على مادتها الأولية بالسعر العالمي، فإننا نتوصل إلى النتائج التالية (مقدره بل.س/كغ):

60.32 قيمة 1 كغ قطن مملوج [(0.03 - 1.20) x \$ 52 ل.س]

رسم انتاج زراعي 9.5 % (يعاد عند التصدير)	5.73
جعالة تنشيط لصالح مؤسسة التجارة الخارجية	0.20
نقل و تأمين	1.25
المجموع	67.50
الكلفة الاجمالية ل 1 كغ غزل بالليرة السورية:	
قطن خام	67.50
عوادم	9
كلف تصنيع	43.81
المجموع	121.31

وعند التصدير تحسم ضريبة الانتاج الزراعي فتصبح الكلفة الصافية $121.31 - 5.93 = 115.38$ ل.س أو 2.22 \$ / كغ إذا أخذنا السعر الحقيقي للدولار أي 52 ل.س.

ضمن هذه التكاليف تصبح الغزول السورية منافسة عالمياً وتستطيع تحقيق أرباح مجزية للمؤسسة النسيجية تمكنها من الاستثمار في التطوير وتأهيل الكوادر. كما أن توفير الغزول للمصنعين في القطاع الخاص بالأسعار العالمية سوف يؤدي الى تطور سريع في صناعة الحياكة والنسيج والصباغ والطباعة والملابس الجاهزة.

الجدوى الاقتصادية المقارنة لانتاج و تصنيع القطن المحلوج

لتبيان أفضل جدوى إقتصادية من زراعة القطن يكفي أن نطلع على بعض الحقائق التي تقدمها لنا المقارنة البسيطة بين إنتاج 300 ألف طن من القطن بالطريقة التقليدية المتبعة حالياً وإنتاج نفس الكمية باتباع الطريقة الحديثة عبر الري بالتنقيط. وفيما يلي نص المقارنة:

من أجل الحصول على 300 ألف طن من القطن المحلوج نحتاج الى 923 ألف طن من القطن المحبوب.

□ مساحة الأراضي اللازمة لإنتاج هذه الكمية هي 285.000 هكتار باعتماد الري التقليدي، و(201.000) هكتار باعتماد الري بالتنقيط أي أن الوفرة في الطريقة الثانية يبلغ 84000 هكتار.

□ تبلغ الاحتياجات المائية بالطريقة الأولى 4.093.000.000 م³ بينما بالطريقة الثانية 1.298.000.000 م³ أي ان وفرة المياه يبلغ 2.795 مليار م³.

□ مجموع تكاليف الهكتار المروي من مياه الابار بعمق 100 م باعتماد الطريقة الأولى 92668 ل.س بينما هو في الثانية 79697 ل.س. أي أن كلفة إنتاج 923.000 طن قطن محبوب بالطريقة الأولى:

$$92668 \times 285000 = 26.410.380.000 \text{ ل.س. وبالطريقة الثانية:}$$

$$79697 \times 201000 = 16.019.097.000 \text{ ل.س}$$

□ وعليه فإن كلفة 1 كغ محبوب بالري التقليدي $26.410.680.000 \div 923000 = 28.61$ ل.س بينما كلفة 1

كغ قطن محبوب بالري بالتنقيط $16.019.097.000 \div 923000 = 17.36$ ل.س

الخلاصة :

إن اعتماد طريقة الري بالتنقيط لإنتاج 923000 طن قطن محبوب تؤدي إلى النتائج الإيجابية التالية:

1 - في طور الإنتاج:

- _ توفير مساحة 84000 هكتار يمكن أن نستغلها في زراعات اخرى.
- _ توفير 2,795 مليار م³ من المياه تساعدنا على وقف الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية.
- _ خفض كلفة 1 كغ من القطن الخام من 28.61 الى 17.36 ل.س.
- _ خفض نسبة تملح الأراضي إلى الحدود الدنيا.

2 - في مرحلة ما بعد الإنتاج:

سوف نضع أربعة احتمالات لكيفية التعامل مع 300 ألف طن من القطن الخام، وتوضيح جدوى كل منها:

1. جدوى تصدير كامل الكميات كقطن خام:

$$300000 \text{ طن قطن خام بسعر } (1.2 - 0.03) \text{ \$/كغ} = \$ 349.200.000$$

$$\text{قيمة بذور قطن (} 923000 \times 65\% \text{) } = \$ 170 \times \text{طن} = \$ 101.991.500$$

$$\text{اجمالي قيمة المحصول بالاسعار التصديرية} = \$ 451.190.000$$

وطبعاً لا يؤمن هذا النوع من النشاط الاقتصادي فرص عمل تذكر.

2. جدوى تحويل القطن الى غزول بالسعر العالمي باعتبار متوسط سعر التصدير للغزول \$ 2.75 /كغ 270000 x

$$= 2.75 \times 270000 = \$ 742500000$$

مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه العملية تؤمن 35000 فرصة عمل تقريباً.

3. جدوى تحويل القطن الى ملابس داخلية وتيشيرت ومناشف من الخيوط المسرححة باعتبار أن سعر مبيع الكغ هو

$$= \$ 6.5$$

$$= 6.5 \times 190000 = \$ 1235000000$$

وهذه العملية توفر أيضاً حوالي 185000 فرصة عمل.

4. تحويل القطن الى ملابس خارجية عالية الجودة من خيوط ممشطة باعتبار سعر بيع الكغ هو \$ 15:

$$= 15 \times 150000 = \$ 2250000000$$

في هذه الحالة تصبح فرص العمل التي النوع من التصنيع 325000 فرصة بدلا من 185000.

النتيجة :

نستنتج مما سبق ان تحقيق افضل جدوى اقتصادية لزراعة القطن في سورية تتطلب الاجراءات التالية :

□ على صعيد الإنتاج: مساعدة الفلاحين على ادخال طرق الري بالتنقيط ضمن برنامج وطني ينفذ على مراحل

وبالسرعة الممكنة مما يوفر 923000 x 11.25 ل.س = 10.383.750.000 ل.س

□ على صعيد التصنيع: توفير القطن الخام و الغزول للصناعة السورية في القطاعين العام والخاص بالسعر العالمي مما يمكننا من تصنيع كامل الكمية محلياً وينتج عن ذلك توفير 360000 فرصة عمل عدا فرص العمل في مؤسسة حلج الاقطان وفي الزراعة. ويضاف الى ذلك تحقيق قيمة مضافة تعادل 643 % من بيعه كقطن خام مما يوفر مصدراً هاماً للعملة الصعبة.

مقترحات :

1. الاتجاه التدريجي نحو حصر تراخيص زراعة القطن في من تتوفر لديهم إمكانية تطبيق إحدى طرق الري الحديثة، على أن تتحمل الدولة جزءاً من تكاليف تطبيق تلك الطرق، وتقديم قروضاً ميسرة لبقية التكاليف.
2. تركيب عدادات لكل الآبار المرخصة وغير المرخصة.
3. تحديد المساحات المزروعة بالقطن بما ينسجم مع توفر المياه.
4. تصنيع أكبر نسبة من الإنتاج أو كامل كميات الإنتاج إن أمكن، بهدف تحقيق أكبر قيمة مضافة ممكنة وتوفير المزيد من فرص العمل للوافدين الجدد على سوق العمالة.
5. توفير القطن الخام وبذور القطن للمصنعين في القطاعين العام والخاص بنفس الأسعار الصافية الناتجة عن تصدير جزء من تلك المنتجات كمواد خام، الأمر الذي يوفر للصناعة الوطنية ميزة في السعر عن المنافسين الخارجيين بسبب توفير مصاريف الشحن، وعمولات الوكلاء، ومصاريف التخليص الجمركي، وكل المصاريف الأخرى التي يفترض أن يتحملها المستورد المنافس لصناعتنا الوطنية.
6. السماح للقطاع الخاص الصناعي بإقامة منشآت للغزل بعد توفير القطن الخام بالسعر العالمي مما يؤدي الى توفر الخيوط القطنية بتشكيلة واسعة تكون أساساً لانطلاقة تطوير صناعة النسيج والملابس القطنية في بلدنا.

دمشق، في 1999/5/25

رياض سيف

جدول مقارنة لإنتاج 923000 طن من القطن المحبوب

طريقة الري بالتنقيط	طريقة الري التقليدية	البيان
201000 هكتار	285000 هكتار	مساحة الاراضي اللازمة
1.298 مليار م ³	4.093 مليار م ³	كميات المياه اللازمة للري
4.33 م ³	13.64 م ³	استهلاك 1 كغ من القطن من المياه
79697 ل.س.	92668 ل.س.	تكلفة الهكتار المروي من الابار بعمق 100 م
17.36 ل.س.	28.61 ل.س.	كلفة 1 كغ من القطن المحبوب

الجدوى الاقتصادية لاحتمالات تعاملنا مع محصول القطن

فرص العمل	قيمة المحصول (مليون \$)	الاحتمالات
-	451.19	تصدير كامل المحصول على شكل قطن خام
35000	742.5	تصنيعه وتصديره على شكل غزول
185000	1235	تصنيعه على شكل ملابس داخلية وقي شيرت ومناشف
325000	2250	تصنيعه على شكل ملابس خارجية عالية الجودة